كلمة الناشر

هذا الكتاب ثمرة طيبة من روض إجتهادات الإمام العلامة أوحد زمانه ابن حجر الهيتمى صاحب التصانيف المشهور والبحوث العلمية والأصولية الغنية عن التعريف وهذا الكتاب مداره على مسائل غاية فى الأهمية بخصوص المكفرات التى يقع فيها كثير من سواد الناس ودهمائهم بقصد أو بغير قصد بل أن كثيرا من المثقفين على مستويات مختلفة كثيرا ما يقعون فى هذه الاخطاء الفاحشة بغير قصد.

ولكن الاصول المعتبرة والاخذ بالاحوط سداً للزريعة يجعل المسلم فى حياطة من امره حتى لايقع فى دائرة المحظورات.

إنه من الميسور أن يقع الانسان فى حبالة المخالفات الشرعية الجسيمة وهو لايدرى.

وقد يكون ذلك معزواً وراجعاً إلى عدم المعرفة بهذه الاخطار أو لعنصر اللامبالاة.

وهذا الكتاب النفيس القيم يضع أيدينا على هذه المحازير وينبه عليها ويحذر منها لأهميتها وخطورتها.

وقد توفر على تحقيق هذا الكتاب وإخراجه لاول مرة الاعلام الكبار د. أحمد السايح، د. السيد الجميلى، الاستاذة بركة حمد سلمان بما لهم من دراية وطول باع فى تحقيق التراث.

نسأل الله تعالى عموم النفع بهذا الكتاب وقد عمد مركز الكتاب للنشر على إخراجه هدية للمسلمين فنسأل الله تعالى أن يجعله فى ميزان حسناتنا يوم نلقاه.

والحمد لله رب العالمين

مركز الكتاب للنشر

مقدمة المحققين

الإمام ابن حجر الهيتمى[1]

هو الإمام أحمد بن محمد بن على بن حجر، الهيتمى، السعدى الأنصارى، شهاب الدين، أبو العباس، شيخ الإسلام عن جدارة واستحقاق. كان علامة عصره، بارعاً فى عديد من العلوم فهو فقيه باحث محدث.

ولد سنة تسع وتسعمائة للهجرة فى محلة أبى الهيتم - التى يُنْسَبُ إليها - وهى كورة من إقليم الغربية، بجمهورية مصر العربية، وقيل إن لقبه السعدى معزو وراجعٌ إلى بنى سعد من عرب الشرقية بمصر كما ذكر الزركلى وغيره.

بدأ حياته يتعلم القراءة والكتابة، ثم حفظ القرآن، ثم التحق بالأزهر الشريف حيث تلقى فيه العلم، فتوسع وتبحر فيه حتى صار معدوداً من المبرّزين الأعلام الذين لهم الصدارة فى العلم، والرسوخ والتمكين فى الفقه والشريعة.

وقد تجلى هذا واضحاً جلياً فى مصنفاته الغزيرة الحافلة التى انتظمت وتناولت علوماً شتى متنوعة. قيل: إنه كان بحراً لا يبارى ولا يجارى فى الفقه.

قدم بن حجر الهيتمى إلى مكة سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، ثم عاد إلى مصر قافلاً، ثم أدى فريضة الحج سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، ثم سنة أربعين أى بعدها بثلاث سنوات.

---

(١) راجع ترجمته فى : دائرة المعارف الإسلامية (١/١٢٣) ، والفهرس التمهيدى (٥٥٥)، وآداب اللغة (٣/٣٣٤) ، ومعجم المطبوعات العربية ليوسف إليان سركيس (١/٨١ - ٨٤) ، والأعلام للزركلى (١/٢٣٤)، وشذرات الذهب (١/٨٠٦) .

قيل إنه جاور بمكة، وظل يُفتى ويُدرِّس، ويصنف ويؤلف حتى عوجل إلى رحمة مولاه، ثم دفن بالمعلاة، وكانت وفاته سنة أربع وسبعين وتسعمائة.

تُوُفِّى ابْن حجر الهيتمى عن خمس وستين سنة زاخرة عامرة بجلائل الأعمال، والفضائل المذخورة،. والآثار الباقية الخالدة التى تنطوى على خير عميم، وفضل جزيل.

رحمه الله رحمة واسعة، وسقا قبره بشآبيب الرحمة والرضوان كفاء جهده وصبره واحتسابه والله سبحانه وتعالى حسبنا وحسيبنا وإياه فى كل ما نقدم لقاء وجهه الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

من مؤلفات ابن حجر الهيتمى

ـ تحفة المحتاج لشرح المنهاج

هذا سفر قيم ممتع، وضعه الإمام الهيتمى فى الفقه الشافعى، وهو شرحٌ لمنهاج النواوى، وقد طبِع ونشِر جزؤه الثالث بمطبعة بولاق سنة تسعين ومائتين وألف للهجرة، وبهامشه حاشية الشيخ عمر البصرى المكى، ثم الجزء الرابع نشرته مطبعة مصطفى محمد سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة وألف.

ـ حاشية على الإيضاح فى المناسك للإمام النووى

وقد نُشِرَ بالهامش متن الإيضاح فى الفقه الشافعى ـ طبعته الميمنية سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف، ومطبعة الجمالية سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف، وكان نشرها الورَّاق العلامة السيد أمين الخانجى، وهى المطبوعة الأولى.

ـ الخيرات الحسان فى مناقب الإمام الأعظم

أبى حنيفة النعمان

عَمَدَ فى هذا الكتاب إلى الرد على مطاعن الغزالى بأبى حنيفة النعمان ـ رضى الله عنه ـ وطبع بمصر سنة ١٣٠٥هـ.

ـ شرح الأربعين حديثاً النووية

ـ الزواجر فى النهى عن اقتراف الكبائر

هو كتاب فى الوعظ، وطبع بالهامش كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ـ والإعلام بقواطع الإسلام ـ الجزء الثانى ـ بولاق سنة ١٢٨٤ ـ مطبوعة سنة ١٣١٠هـ و ١٣٣١.

ـ الفتاوى الحديثية

وهى ذيل الفتاوى الكبرى الهيتمية الفقهية وهى خاتمة فى المسائل المنثورة التى ليس لها تعلق بباب من الأبواب السابقة ومعها الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة للجلال السيوطى ـ الميمنية سنة ١٣٠٧هـ.

ـ الفتاوى الكبرى الهيتمية الفقهية

مطبوع بهامشها فتاوى الإمام محمد بن أحمد الرملى فى الفقه الشافعى ـ طبع جزؤها الرابع بالميمنية ١١٠٨ ـ ١٣٢٣هـ.

ـ الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة

طبع بهامشه «تطهير الجنان واللسان عن الخوض والتفوه بسب سيدنا معاوية بن أبى سفيان ـ الميمنة ١٣٠٧/٨ ص ١٦٤.

ـ كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع

واسمه أيضا (كشف الظنون) طبع بهامش الزواجر عن اقتراف الكبائر الذى ذكرناه آنفاً.

ـ مناسك الحج

طبعته الميمنة سنة ١٣٢٣ ص ٢٤٠، وطبع أيضاً بمصر ومكة مراراً قبل سبعين عاماً تقريباً.

ـ المنح الملكية فى شرح الهمزية

وهى شرح لهمزية الإمام البوصيرى. وطبع بالهامش أنفس نفائس الدرر وهى حاشية لمحمد الحفنى على الشرح المذكور ـ بولاق سنة ١٢٩٢هـ ـ الخيرية سنة ١٣٠٧.

***

وغير هذه الكتب الكثير والكثير، فما قدمناه على سبيل المثال لا الحصر ليس إلا.

وتتفاوت كتب الإمام بن حجر الهيتمى بين المصنفات الكبيرة إلى الرسائل الصغيرة لكنها كلها معبرة أصدق تعبير، وبأقوى دليل على إخلاصه لدينه ولعقيدته.

بين يدى هذا الكتاب وتقويم مادته

هذا الكتاب اسمه (الإعلام بقواطع الإسلام) وقد حرره المؤلف سفراً جامعاً كما ذكر فى تصديره، بسبب فتوى وجّهت إليه، وهو يرد فيها على أهل البدع والأهواء ويفصل آراء العلماء والفقهاء فى التكفير... والمراد به تكفير المسلم بقول: يا كافر، أو يا عديم الدين.... إلخ.

ثم إن المؤلف يرى من سياق سرده لهذه المشكلة، أنها فى غاية الخطورة ـ وهى كذلك حقيقة ـ ثم يعمد إلى العديد والعديد من الأمثلة المعزوبة المكرورة التى يؤكد بها عموم البلوى بهذه القضية اليومية أو شبه اليومية بين الناس على مختلف الأحوال والأوضاع والأصعدة.

لكن المأخوذ عليه والذى يظهر من سياق بحثه الحيوى الشائق الممتع، أنه قد جهد نفسه، وأعنت وبالغ كثيراً فى كثير من الأقضية التى قطع فيها بالتكفير؛ ولذلك فنحن مع تقديرنا لجهده المبذول، وإخلاصه الظاهر غير المنكور، لا نوافقه على كثير مما ذهب إليه، بل نخالفه تماماً... فإذا كان ذلك كذلك، فلماذا قدمنا على تحقيق هذا الكتاب وإخراجه ونشره؟ ألم يكن من الخير الإشاحة عنه، واستدباره، والضرب عنه صفحاً؟!!

إن الحقيقة غير ذلك إذ إن تبيان جوانب الخير أمر ضرورى ولا تقل عنه حتمية وجوب إظهار الشر ودواعيه وتداعياته وآثاره حتى يحذره الناس، ويتوقونه، ويسدون إليه الذرائع.

وفى علم الأصول باب (سد الذارئع) وهو نافع مفيد حيث يترك المكلف ويطرح المباح إذا كان مؤدِّياً إلى المحظور أو المحرم، وهذا هو الورع والتقوى وكيف يتقى ويتوقى الإنسان الشر وهو لا يعرفه ولا يعرف صوره وأشكاله وطرائقه؟؟

ولذلك قال الشاعر العربى كما أسلفنا:

عـرفـت الـشرَّ لا لـشرَّ ... لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشرَّ من الخير ... يـقع فيـه

وكان أبو ذر –رضى الله عنه– يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه.

***

ورد فى الحديث الصحيح الثابت الذى أخرجه الإمام مسلم فى كتابه، وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» وقد أخرجه أيضاً أبو داود فى سننه، وابن ماجة، والنسائى، عن أبى هريرة، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير.

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» أخرجه الإمام أحمد فى المسند، والترمذى والحاكم عن ابن عمر، وحسَّنه السيوطى وغيره.

وقال صلى الله عليه وسلم فيما ورد فى صحيح مسلم: «بادروا بالأعمال فتناً (وفى رواية: ستكون فتن) كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً» (وفى رواية: يمْسى مؤمنا ويُصبح كافراً) يبيع دينه بعرض من الدنيا».

لذلك كان عرض الكتاب أمراً واجباً على الرغم مما ورد فيه من آراء شديدة فيها من القطع بالمظنونات مع التمسك بالمرجوحات بقرائن واهية لا يقدر على مواجهة الإجماع على نقيضها فى أغلب الأحيان.

نسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا مبروراً خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرحم مؤلفه بتجاوز عنا وعنه، وأن يغفر لنا خطايانا إنه خير مستعان به ومأمول فيه.

عملنا فى هذا الكتاب

بعد نسخ الكتاب من مخطوطته الوحيدة عمدنا إلى ضبط النص لغوياً وتقويم ما اعتوره وكانفه من تحريف وتصحيح نادراً ما تخلو منه فقرة أو صفحة.. ثم قمنا بتخريج الآيات القرآنية، والترجمة لأهم الأعلام الواردة فى المتن -مع عدم التوسع فى ذلك- وشرح بعض الكلمات الصعبة أو غير الواضحة.

كذا فقد عقبنا على بعض آراء المؤلف بالموافقة حينا أو المخالفة أحيانا، وقد تركنا الأكثر والأغلب من غير تعقيب للقارىء ليرى فيه رأيه فيما يوافق مذهبه.

نسأل الله تعالى أن يحسن موقعه من النفوس فإن كنا قد وفقنا فى أداء هذه المهمة فمن الله تعالى المحمود بجميع المحامد لا حول ولا قوة إلا به. وإن كان غير ذلك فمن أنفسنا ومن الشيطان وتسويله ونستغفر الله تعالى من ذلك ونتوب إليه، وهو بالإجابة جدير وبالسداد كفيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحققون

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف - رحمه الله -

نحمدك إذ أطلعت لعلم الفتوى فى سماء التحقيق شموساً وبدوراً، وجَعَلت علماء الشريعة الغراء أرفع الناس فى الدارين مكانةً وصوراً وسروراً، واخترتهم لحفظ فرائض الإسلام وسننه، وأقمتهم نجوماً يهتدى بها فى ظلمات الجهالات إلى منهجك القويم وسننه، ونشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك شهادة يلوح عليها أمائرِ[1] الإخلاص، وينجو مدخرها من أهوال قبائح المفترين عليك حين لا مناص.

ونشهد أن سيدنا محمداً نبيك ورسولك أفضل من أوذى فيك فصبر، وأجّل من ابتليته فرضى وشكر، وأرسلته لخير أمة أخرجت للناس[2] فهديت به كل حائر، وأرديت به كل جائر، ومحوْت به ظلم البدع والكفر. لا سيما من بلدك الحرام، وقصمت ببراهين دينه الطغاة العظام، وأمرته بأن يورثها من بعد من الأئمة الأعلام حتى يردوا بها على عاندهم فى واقعة من وقائع الأحكام، وصلى الله عليه وسلم وعلى أله وأصحابه، الذين نصروا الحق، وأشادوا فخره، ودمغوا الباطل وأهله الكثيرين، وأماتوا ذكره، صلاةً وسلاماً دائمين ما قام تبصرة دينه القويم بعض وارثيه، وبذل نفسه فى الله رجاء لما أعده لوارثيه وعارفيه.

أما بعد: فهذا تأليف جامعٌ ومجموعٌ إن شاء الله تعالى نافع، دعانى إليه وقوع غلط فاحش فى مسألة أفتيت بها فأحببت بيانها مع ما يتعلق بها، لأن الحاجة ماسة إلى جميع ذلك، سيما وقد توعرت هذه المسالك حتى صار الغلط فى الواضحات[3] فضلاً عن المشكلات أقرب إلى المنسوبين إلى العلم من حبل الوريد، ولسان حالهم يعلن: أنه ليس لهم منها من محيد، لما جبلوا عليه من مخالفة سنن الماضين، والخلد[4] إلى أرض الشهوات،

---

(١) أمايِر جمع آمارة بمعنى علامة وإشارة . وهو جمع غير مطروق . والمطروق فى جمع «أمارة» أمارات .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ سورة آل عمران : ١١٠ .

(٣) الواضحات : الأمو ر الواضحة التى لا تحتاج إلى بيان .

(٤) لعل الأصوب (الإخلاد) لأنها من الرباعى (أخلد) .

والطمع فيما بأيدى الظلمة والمتمردين، نسأل الله أن يعافينا من ذلك، وأن ينجينا من ظلم هذه المهالك، وأن يوفقنا إلى ما كان عليه أئمتنا من صالح العمل ومجانبه الزلل إنه أكرم مسئول وأرجى مأمول.

هذا وقد لوَّحت لك بالقضية الحاملة على هذا التأليف وبيانها: إنى لما كنت بمكة فى مجاورتي الثالثة سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة رفعت إلى فتوى صورتها: ما قولكم فى من تزوج غير بالغة ثم أشهد عليها أنه أقبضها حال صداقها فهل يصح هذا الإشهاد؟ وهل للوصى مطالبته بالمهر المذكور والدعوى به عليه؟ وهل له ولو [كان] حاكما أن يقول له: يا كلب، يا عديم الدين أم لا؟ فماذا يلزمه فى ذلك؟

فأجبت بما صورته: إن بلغت مصلحة لدينها ومالها صح قبضها والإشهاد عليها ولم يكن للوصى مطالبته ولا الدعوى عليه، وقوله له ما ذكرتم محرم التحريم الشديد، بل ربما يكون قوله: يا عديم الدين كفراً فيعزر التعزير الشديد اللائق به والزاجر له ولأمثاله، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

وكتبه فلان. ثم دفعتها إلى صاحبها.

فوقعت فى أيدى جماعة أصدقاء للصادر منه ذلك فقصدوا التقرب إليه بالكذب على الله ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[1] فاعترضوا ما كتبته، وشنعوا به عند العوام، وموَّهوا عليهم، حتى قال بعض مجازفيهم لعوامه: هذا الإفتاء به كفر، وعلله بأن يقتضى ذلك قائل هذا اللفظ يكفر مطلقاً وليس لذلك، ومن كفر مسلما فقد كفر، ثم اعترضوه بأمور أخرى... منها كيف يفرع التعزير على الحكم بأنه كفر.

ومنها كيف يكتب المفتى التعزير الشديد، والتعزير راجع إلى رأى الحاكم فى الشدة والضعف.

ومنها أن من صدر منه ذلك مثله لا يفتى عليه.

ومنها أن الجواب ليس مطابقاً للسؤال.

هذا ما نقل إلىَّ وسمعته من اعتراضاتهم، وهى لدلالتها على غباوة قائلها غنّية عن التعرض لها بردّاً وإبطال، لكن أحببت فى هذا **التأليف تحرير الألفاظ المكفرة** التى

---

(١) الشعراء [٢٢٧]. راجع تفسير الطبرى (٧٨/١٩) والبحر المحيط لأبى حيان (٤٩/٧).

ذكرها أصحابنا وغيرهم. فإن هذا الباب منتشر جداً، وقد اضطربت فيه أفكار الأئمة وعباراتهم، وزلت فيه أقدام كثيرين، ولخطر أمره وحكمه كان حقيقاً[1] بالإفراد بالتأليف، ولم أَر أحداً عرّج على ذلك، فقصدت تسهيل جمعه وبيان ما وقع للناس فيه بحسب ما اطلعت عليه وضممت إلى ذلك فوائد عثر عليها فكرى الفاتر[2] واستنتجها نظرى القاصر، اسأل الله أن يجعلنى ممن هداه وهدى به، وإن يصيرنى ممن اوصل الخير لهذه الأمة بسببه، إنه جواد كريم رؤوف رحيم، غافر الزلات، وراحم العثرات، فعليه التكلان، ومنه التأييد والامتنان، وإليه المفزع فى المهمات ومن فيض فضله تعترف أسباب السداد والعصمة فى الملمات.

انتهت مقدمة المؤلف

---

(١) حقيقا بكذا : مستحقا له ومستوجبا إياه .

(٢) هذا من تواضع المؤلف رحمه الله ، وهذه هى خلة أهل العلم من قديم الأزل.